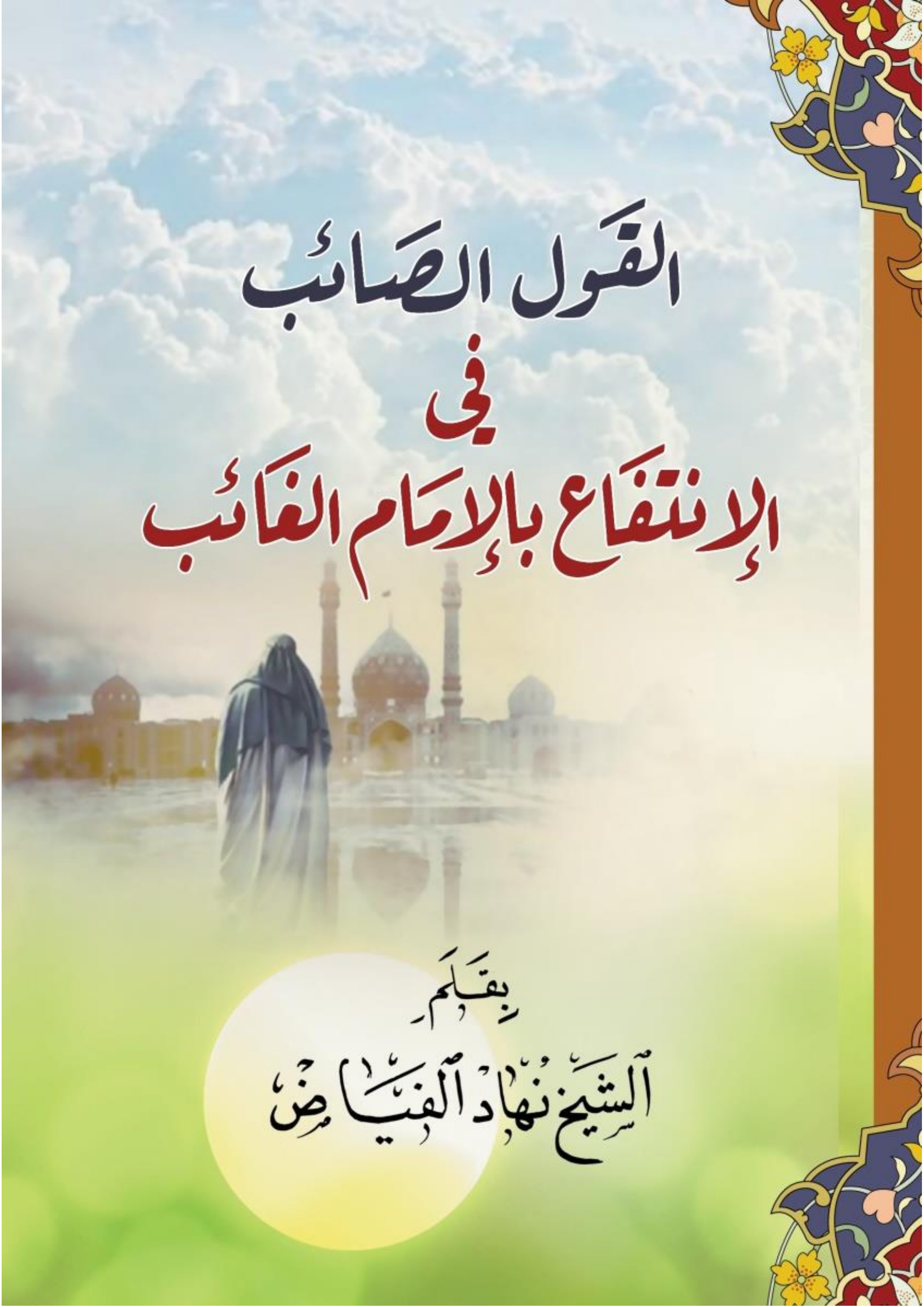


القول الصائب في الإنتفاع بالإمام الغائب

بقلم

الشيخ نهاد الفياض

القول الصائب

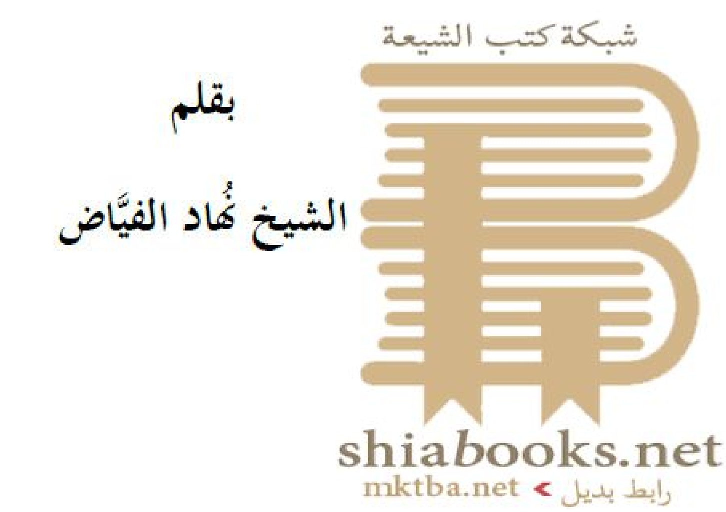
في الانتفاع بالإمام الغائب

القول الصائب

في الانتفاع بالإمام الغائب

بقلم

الشيخ نُهاد الفيَّاض



هوية الكتاب

اسم الكتاب:......القول الصائب في الانتفاع بالإمام الغائب

المؤلِّف: .... الشيخ نُهاد الفيَّاض

الناشر: .... المؤلِّف

الطبعة: .... الأولى

المطبعة: .... مكتب الطيف ـ النَّجف الأشرف

سنة الطبع: ١٤٤٣هـ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التقديم:

بقلم: سماحة الأُستاذ العلّامة المحقق

الشيخ حيدر الوكيل

(دامت بركاته)

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبينا وسيدنا محمَّد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

لا شكَّ أنَّ من مُهمات مفاصل العقيدة هو الاعتقاد بالإمام المهدي الحجَّة بن الحسن صلوات الله عليه، لما يمثله من تكامل في عقيدة الإنسان بوجود الإمام المعصوم المسؤول عن الدينِ ورعاية المؤمنين.

وقد تعرَّضت هذه العقيدة إلى الكثير من الشبه، والاعتراضات، والتساؤلات، من الداخل والخارج، فكان

أنْ تصدَّى العُلماء والباحثون للإجابة عنها، والدفاع عن العقيدة، أو بيان حقيقتها بما يُثبِّت المؤمن على إيمانه، ويدحض حُجَّة المخالف.

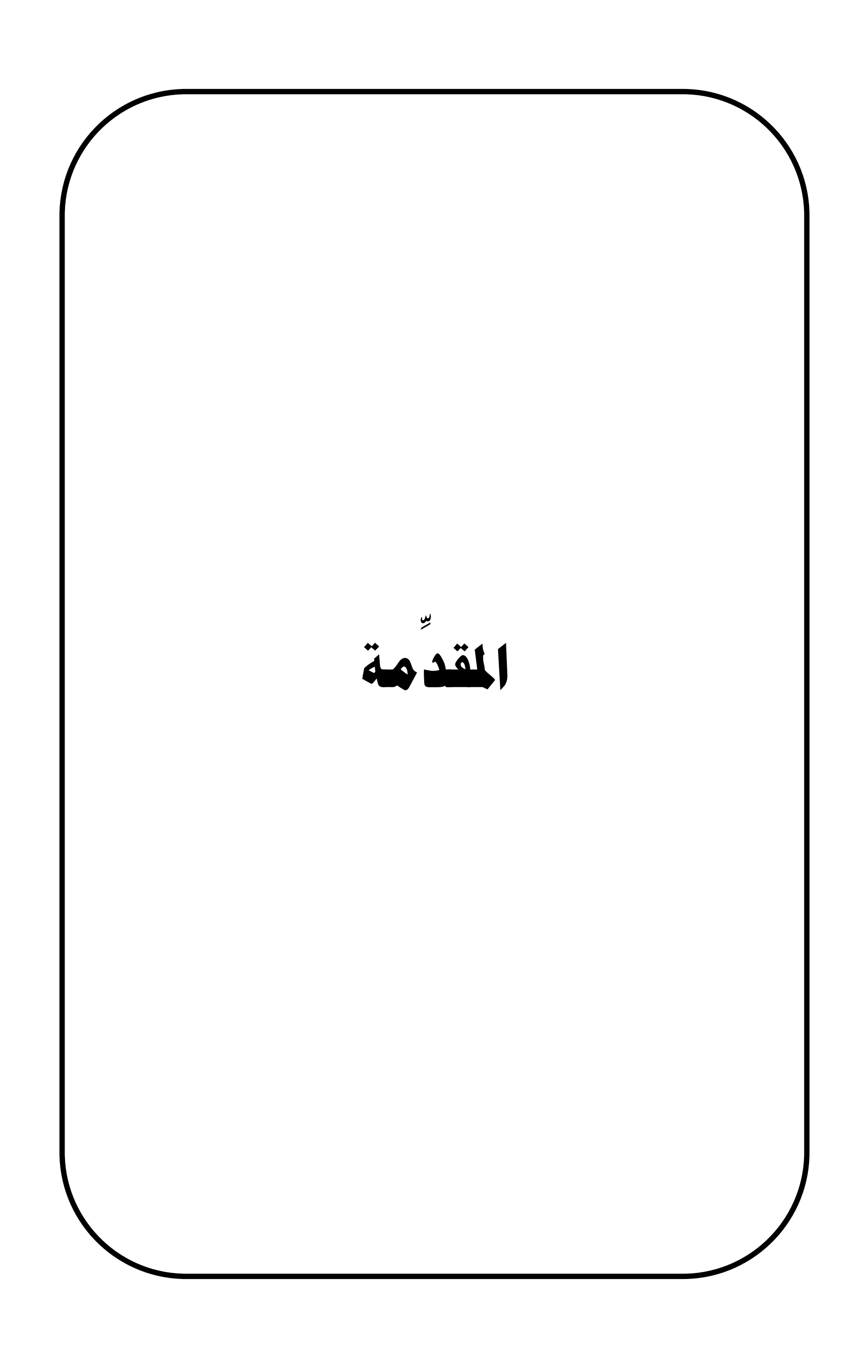
ومن مُهمات البحث، هو البحث في العقيدة بالبيان الواضح وفق الدليل، ليزول أصل الإشكال، فكم من إشكالٍ كان سببه عدم وضوح أصل الفكرة.

ومن هُنا تصدَّى سماحة العلَّامة الفاضل الشيخ نُهاد الفيَّاض أعزَّه الله تعالى إلى بيان مفصلٍ مُهم من مفاصل العقيدة المهدويَّة، فأحسن وأجاد مع إيجازٍ يُناسب القارئ الباحث عن الحق مع يُسر السبيل بلا تطويل.

وفَّق الله تعالى شيخنا المؤلِّف إلى المزيد، وسدد خُطاه على طريق نصرة الحق.

النجف الأشرف حيدر الوكيل

١٩شوَّال ١٤٤٣هج



المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم مُحمَّد، وعلى آله الطَّاهرين، سيَّما خليفة الله في الأرضين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

لا يخفى أنَّ البحث في الشأن المهدوي من أهمِّ البحوث العقدية، حيث يُعدُّ الاعتقاد به وبإمامته عليه السلام ضماناً من الموتِ على الجاهلية، وذلك لتظافر الخبر الشريف عنهم عليهم السلام بأنَّ من مات وليس عليه إمام فميتته ميتةٌ جاهلية.

من ذلك: ما رواه شيخنا الأقدم الكليني طيَّب الله ثراه بسنده عن الفضيل بن يسار قال: ابتدأنا أبو عبد الله عليه السلام يوماً وقال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: من مات وليس عليه إمام فميتته ميتةٌ جاهلية. فقلتُ: قال ذلك رسول الله صلَّى الله عليه وآله؟ فقال: إي والله قد قال. قلتُ: فكلُّ من مات وليس له إمام فميتته ميتةٌ جاهلية؟! قال: نعم[1].

ثُمَّ إنَّ من جملة المسائل المهدوية التي يكثر السؤال عنها هي وجه النفع والفائدة في حال غيبته واستتاره عن الناس، ولذلك شرعتُ بكتابة هذه الصفحات المتواضعة كجوابٍ

---

[1] ـ أصول الكافي ج١ ص٤٣٨، دار الأضواء.

على هذا التساؤل المثار، عسى أنْ نكون ممن ساهم في إيصال الثقافة المهدوية الحقَّة إلى أهلها.

ويجدر بنا التنويه والإشارة إلى أنَّ المدار في هذه الصفحات هو خصوص ما ورد في التراث الإمامي فقط، ولا علاقة له بغيرهم، إذ هو لم يُكتبْ كجوابٍ على ما يُثيره الخصم من التشكيكات والشبهاتِ، بل كُتب لبيان مسألةٍ من المسائل المعرفية التي تتعلَّق بإمام الزمان صلوات الله عليه.

ثمَّ إنَّ المنهجية في هذا البحث تُحتِّم علينا الكلام في ولادة الإمام أوَّلاً، وفي غيبته ثانياً، وبذلك يتَّجه السؤال عن وجه الحاجة إليه في زمن الغيبة، كما لا يخفى.

وعلى هذا الأساس، سوف ينتظم البحث في ذكرِ فصولٍ ثلاثة، نتلوها بخاتمةٍ حول دعاء « الفرج المبارك » لمولانا صاحب الزمان عليه السلام إنْ شاء الله تعالى، والحمد لله أوَّلاً وآخراً.

الشيخ نُهاد الفيَّاض

النجف الأشرف ١٤٤٣هج

الفصل الأوّل

ولادة الإمام المهدي عليه السلام

تمهيد:

في البشارة بالإمام المهدي:

من الواضح لمن لاحظ الأخبار الشريفة أنَّ النبي الأعظم صلَّى الله عليه وآله، وكذلك أهل بيته عليهم السلام قد بشَّروا وأخبروا بالإمام المهدي عليه السلام قبل ولادته المباركة، وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أنْ تُملأ ظلماً وجوراً، منها:

١ـ ما رواه شيخنا الصدوق طاب ثراه بسنده عن مولانا الإمام الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنه قال: لا تقوم الساعة حتَّى يقوم قائمٌ للحق منا، وذلك حين يأذن الله عزَّ وجلَّ له، ومن تبعه نجا ومن

تخلَّف عنه هلك، الله الله عباد الله، فأتوه ولو على الثلج، فإنه خليفة الله عزَّ وجلَّ وخليفتي[1].

٢ـ وما رواه أيضاً عن عليٍّ عليه السلام أنه قال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله: لا تذهب الدنيا حتَّى يقوم رجلٌ من ولد الحسين يملأها عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً[2].

٣ـ وما رواه أيضاً طاب ثراه بسنده المتَّصل عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: المهدي من ولدي، اسمه اسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون به غيبة وحيرة تضلُّ فيها الأمم،

١ـ عيون أخبار الرضا ج٢ ص٦٥، الشريف الرضي.

٢ـ عيون أخبار الرضا ج٢ص٧١، الشريف الرضي.

ثمَّ يقبل كالشهاب الثاقب، يملأها عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً[1].

٤ـ وما رواه أيضاً بسنده عن مولانا أبي جعفر عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: طُوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو يأتمُّ به في غيبته قبل قيامه، ويتولَّى أولياءَه، ويعادي أعداءَه، ذلك من رفقائي وذوي مودَّتي، وأكرم أمَّتي عليَّ يوم القيامة[2].

٥ـ وروى شيخ الطائفة الطوسي طاب ثراه بسنده عن أبي أيوب الأنصاري قال: مرض رسول الله صلَّى الله عليه وآله

---

[1]ـ كمال الدين ج١ ص٢٧١، مؤسَّسة الأعلمي.

[2]ـ كمال الدين ج١ ص٢٧١، مؤسَّسة الأعلمي.

مرضةً، فأتته فاطمة عليها السلام تعوده ... إلى أنْ قال صلَّى الله عليه وآله: إنَّا أهل بيت أعطينا سبعاً لم يعطها أحدٌ قبلنا ولا يعطاها أحدٌ بعدنا، نبينا أفضل الأنبياء وهو أبوك، ووصينا أفضل الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا أفضل الشهداء وهو عمُّك، ومِنا مَنْ جعل الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة وهو ابن عمِّك، ومِنا سبطا هذه الأمَّة وهما ابناك. والذي نفسي بيده لابدَّ لهذه الأمَّة من مهدي وهو ـ والله ـ من ولدك[1].

٦ـ وروى أيضاً بسنده عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنه قال في حديث: ثمَّ يبعث الله عزَّ

١ـ الأمالي ص١١٣، منشورات ذوي القربى.

وجلَّ رجلاً مني ومن عترتي، فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً، وتخرج له الأرض أفلاذ كبدها، ويحثو المال حثواً ولا يعدُّه عدَّاً[1].

وكيف كان، فالأخبار الواردة في البشارة في الإمام المهدي عليه السلام قد تجاوزت حـدَّ التواتر، وهي أكثر من أنْ تذكر في هذا المختصر.

ولادة الإمام المهدي:

تواتر النصُّ من طرقنا بولادة إمامنا صاحب الزمان عليه السلام في النصف من شهر شعبان من عام « ٢٥٥ » للهجرة

١ـ الأمالي ص٣٩٣، منشورات ذوي القربى.

المباركة، في مدينة سامراء المقدَّسة، نتبَّرك بذكر شيءٍ من تلك الأخبار:

١ـ روى شيخنا الكليني طاب ثراه بسندٍ معتبر عن أبي هاشم الجعفري قال: قلتُ لأبي محمَّد عليه السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أنْ أسألك؟ فقال: سل. قلتُ: يا سيدي هل لك ولد؟ فقال: نعم، فقلتُ: فإنْ حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ فقال: بالمدينة[1].

٢ـ وروى شيخنا الصدوق طاب ثراه بسندٍ معتبر عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال: دخلتُ على أبي محمَّد الحسن بن علي عليهما السلام وأنا أُريد أنْ أسأله عن الخلف

١ـ أصول الكافي ج١ ص٣٨٩، دار الأضواء.

[من] بعده، فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إنَّ الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلى أنْ تقوم الساعة من حُجة لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه يُنزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض، قال: فقلتُ له: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثمَّ خرج وعلى عاتقه غُلامٌ كأنَّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزَّ وجلَّ وعلى حُججه ما عرضتُ عليك ابنيَ هذا، إنه سمي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وكنيه ... فقال أحمد بن إسحاق: فقلتُ له: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها

قلبي؟ فنطق الغُلام عليه السلام[1] بلسانٍ عربي فصيح فقال: أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق. فقال أحمد بن إسحاق: فخرجتُ مسروراً فرحاً[2].

٣ـ وروى شيخنا الخزَّاز القمِّي طاب ثراه بسنده عن أحمد بن إسحاق بن سعد قال: سمعتُ أبا محمَّد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام يقول: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتَّى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خَلقاً وخُلقاً، يحفظه الله تبارك

---

[1]ـ أقول: لا غرابة في ذلك، فقد أنطق الله تعالى نبيه عيسى بن مريم عليهما السلام وهو في المهد صبياً.

[2]ـ كمال الدين ج١ ص٣٥٧، مؤسَّسة الأعلمي.

وتعالى في غيبته، ويظهره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً[1].

٤ـ وروى شيخنا المفيد طاب ثراه بسنده عن أحمد بن إبراهيم بن إدريس، عن أبيه أنه قال: رأيته عليه السلام بعد مضي أبي محمَّد حين أيفع، وقبَّلتُ يده ورأسه[2].

٥ـ وروى شيخنا الطوسي طاب ثراه بسنده عن عبد الله بن جعفر الحِميري، أنه قال: سألتُ محمَّد بن عثمان رضي الله عنه فقلتُ له: رأيتَ صاحب هذا الأمر؟ فقال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: اللهم انجز لي ما

١ـ كفاية الأثر ص٤١٣، منشورات دليل ما.

٢ـ الإرشاد ج٢ص٣٥٣، مؤسَّسة آل البيت.

وعدتني. قال محمَّد بن عثمان رضي الله عنه: ورأيته صلوات الله عليه متعلِّقاً بأستار الكعبة فـي المستجار وهو يقول: اللهم انتقم لي من أعدائك[1].

٦ـ وروى أيضاً طيَّب الله ثراه بسنده عن أبي الفضل الحسين بن الحسن العلوي قال: دخلتُ على أبي محمَّد عليه السلام بسر من رأى، فهنأته بسيدنا صاحب الزمان عليه السلام لما ولد[2].

٧ـ وروى شيخنا الإربلي طاب ثراه عن ابن الخشَّاب قال: حدَّثنا صدقة بن موسى، حدَّثنا أبي عن الرضا عليه السلام

---

[1]ـ الغيبة للطوسي ص١٥٥، منشورات الفجر.

[2]ـ الغيبة للطوسي ص١٤٣، منشورات الفجر.

قال: الخلف الصالح من ولد أبي محمَّد الحسن بن علي وهو صاحب الزمان وهو المهدي[1].

٨ـ وروى شيخنا النوري نوَّر الله مرقده عن محمَّد بن عبد الجبَّار قال: قلتُ لسيدي الحسن بن علي عليه السلام: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك اُحبُّ أنْ أعلم مَن الإمام وحُجَّة الله على عباده من بعدك؟ قال عليه السلام: إنَّ الإمام والحجَّة من بعدي ابني، سمي رسول الله وكنيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، الذي هو خاتم حُجج الله، وآخر خلفائه. قال: فقلتُ: ممن يتولَّد هو يا بن رسول الله؟ قال: من ابنة ابن

١ـ كشف الغمة ج٤ ص١٩٩، تحقيق: علي الفاضلي.

قيصر ملك الروم، إلَّا أنه سيولد فيغيب عن الناس غيبة طويلة[1].

إلى غيرها من الأخبار الكثيرة الدالَّة على ولادته المباركة، كما لا يخفى على المتتبع.

1ـ النجم الثاقب ص٣٨٧، منشورات الرضا.

الفصل الثاني

غيبة الإمام المهدي عليه السلام

من جملة المسائل التي يعتقد بها أتباع أهل البيت عليهم السلام ـ بعد ولادة الإمام المهدي عليه السلام ـ هي مسألة غيبته عليه السلام، تبعاً للأخبار الكثيرة الواردة عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، منها:

١ـ ما رواه شيخنا الكليني طيَّب الله ثراه بسنده عن محمَّد بن مُسلم قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنْ بلغكم عن صاحب هذا الأمر غيبة فلا تُنكروها[1].

٢ـ وما رواه شيخنا النعماني بسنده عن عبد الملك بن أعين قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ للقائم عليه

---

[1]ـ أصول الكافي ج١ ص٣٩٩، دار الأضواء.

السلام غيبةً قبل أنْ يقوم، قلتُ: ولم؟ قال: يخاف ـ وأومأ بيده إلى بطنه ـ يعني: القتل[1].

٣ـ وما رواه أيضاً بسنده عن زرارة، قال: سمعتُ أبا عبد الله جعفراً عليه السلام يقول: إنَّ للقائم عليه السلام غيبةً قبل أنْ يقوم، قلتُ: ولم ذلك؟ قال: إنه يخاف ـ وأومأ بيده إلى بطنه ـ يعني: القتل[2].

أقول: إنَّ الخوف المشار إليه في هذه الأخبار هو الخوف على المشروع الإلهي، كما في خوف نبي الله موسى عليه السلام المحكي في كتاب الله تعالى، ونصُّه: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً

١ـ الغيبة (الباب ١٠) ص١٨٢، نشر آسيانا.

٢ـ الغيبة (الباب ١٠) ص١٨٣، نشر آسيانا.

يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ . فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ . وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ . فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

قال شيخنا الطوسي طاب ثراه: لا علَّة تمنع من ظهوره إلَّا خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له

---

[1]ـ القرآن الكريم، سورة القصص: ١٨ ـ ٢١.

الاستتار، وكان يتحمَّل المشاق والأذى، فإنَّ منازل الأئمَّة وكذلك الأنبياء عليهم السلام إنما تعظم لتحمُّلهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى[1].

ثمَّ قال طيَّب الله ثراه بعد ذلك: إنْ قيل: أليس آباؤه عليهم السلام كانوا ظاهرين ولم يخافوا ولا صاروا بحيث لا يصل إليهم أحد؟

قلنا: آباؤه عليهم السلام حالهم بخلاف حاله، لأنه كان المعلوم من حالِ آبائه لسلاطين الوقت وغيرهم، أنهم لا يرون الخروج عليهم، ولا يعتقدون أنهم يقومون بالسيف ويزيلون الدول، بل كان المعلوم من حالهم أنهم ينتظرون مهدياً لهم،

1ـ الغيبة ص٢٢٢، دار الكتب الإسلامية.

وليس يَضرُّ السلطان اعتقاد من يعتقد إمامتهم إذا آمنوهم على مملكتهم ولم يخافوا خبلتهم[1]، وليس كذلك صاحب الزمان عليه السلام، لأنَّ المعلوم منه أنه يقوم بالسيف، ويزيل الممالك، ويقهر كلَّ سلطان، ويبسط العدل، ويميت الجور، فمن هذه صفته يُخاف خبلته، ويُتَّقى فورته، فيُتتبع ويُرصد، ويُوضع العيون عليه، ويُعنى به، خوفاً من وثبتهِ ورهبتهِ من تمكنه، فيخافُ حينئذٍ ويحوج إلى التحرُّز والاستظهار، بأنْ يُخفي شخصه عن كلِّ من لا يأمنه من وليٍّ وعدو إلى وقت خروجه. وأيضاً فأبآؤه عليهم السلام إنما ظهروا، لأنه كان المعلوم أنه لو حدث بهم حادثٌ لكان هناك من يقوم مقامه، ويسدُّ مسدَّه من أولادهم، وليس كذلك صاحب الزمان عليه

١ـ الخبل: الفتنة، والمعنى: ولم يخافوا فتنتهم.

السلام، لأنَّ المعلوم أنه ليس بعده من يقوم مقامه قبل حضور وقت قيامه بالسيف، فلذلك وجب استتاره وغيبته، وفارق حاله حال آبائه عليهم السلام، وهذا واضح بحمد الله[1].

للقائم غيبتان:

٤ـ روى ثقة الإسلام الكليني طيَّب الله ثراه بسنده المتَّصل عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للقائم غيبتان، يشهد في إحداهما المواسم، يرى الناس ولا يرونه[2].

---

[1]ـ الغيبة ص٢٢٣، دار الكتب الإسلامية.

[2]ـ أصول الكافي ج١ص٤٠٠، دار الأضواء.

٥ـ وروى أيضاً طاب ثراه بسنده عن إسحاق بن عمَّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة والأُخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلَّا خاصَّة شيعته، والأُخرى لا يعلم بمكانه فيها إلَّا خاصَّة مواليه[1].

٦ـ وروى شيخنا الصدوق رحمه الله عن ثابت الثمالي، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنه قال: فينا نزلت هذه الآية:﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[2]، والإمامة في عقب الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

١ـ أصول الكافي ج١ ص٤٠١، دار الأضواء.

٢ـ القرآن الكريم، سورة الزخرف، الآية: ٢٨.

إلى يوم القيامة. وأنَّ للقائم منا غيبتين، إحداهما أطول من الأُخرى[1].

٧ـ وروى شيخنا النعماني طيَّب الله ثراه عن إبراهيم بن عُمر اليماني قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين. وسمعته يقول: لا يقوم القائم ولأحدٍ في عنقه بيعة[2].

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة.

قال شيخنا النعماني طيَّب الله ثراه: هذه الأحاديث التي يُذكر فيها أنَّ للقائم عليه السلام غيبتين أحاديث قد صحَّت

١ـ كمال الدين ج١ ص٣٠٣، مؤسَّسة الأعلمي.

٢ـ الغيبة (الباب ١٠) ص١٧٥، نشر آسيانا.

عندنا بحمد الله، وأوضح الله قول الأئمَّة عليه السلام وأظهر برهان صدقهم فيها.

فأمَّا الغيبة الأولى: فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق، قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان، يخرج على أيديهم غوامض العلم، وعويص الحكم، والأجوبة عن كلِّ ما كان يُسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرَّمت مدَّتها.

والغيبة الثانية: هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط، للأمر الذي يُريده الله تعالى، والتدبير الذي يُمضيه في الخلق، ولوقوع التمحيص والامتحان والبلبلة

والغربلة والتصفية على من يدَّعي هذا الأمر ... فهذا معنى قولنا « له غيبتان ». ونحن في الأخيرة نسأل الله أنْ يقرِّب فرج أوليائه منها، ويجعلنا في حيِّز خيرته، وجملة التابعين لصفوته، ومن خيار من ارتضاه وانتجبه لنصرة وليه وخليفته، فإنه ولي الإحسان، جواد منَّان[1].

معنى الغيبة:

ثمَّ إنَّ معنى الغيبة أنَّ الإمام عليه السلام حاضرٌ معنا ببدنه الشريف وإنْ كان غائباً عنا بوصفه وعنوانه، وهو ما تُشير إليه جملة من الأخبار، منها:

---

[1]ـ الغيبة (الباب ١٠) ص١٧٨، نشر آسيانا.

١ـ ما رواه شيخنا الكليني طاب ثراه بسنده عن سدير الصيرفي قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ في صاحب هذا الأمر شبهاً من يوسف عليه السلام ... إلى قوله عليه السلام: إنَّ إخوة يوسف عليه السلام كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء تاجروا يوسف، وبايعوه وخاطبوه، وهم إخوته، وهو أخوهم، فلم يعرفوه حتَّى قال: أنا يوسف وهذا أخي ... إلى قوله عليه السلام: فما تنكر هذه الأمَّة أنْ يفعل الله جلَّ وعزَّ بحُجته كما فعل بيوسف، أنْ يمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم حتَّى يأذن الله في ذلك له، كما أذن ليوسف[1].

١ـ أصول الكافي ج١ ص٣٩٧، دار الأضواء.

٢ـ وما رواه أيضاً بسنده عن عبد الله بن جعفر الحِميري قال: اجتمعتُ أنا والشيخ أبو عمرو رحمه الله عند أحمد بن إسحاق، فغمزني أحمد بن إسحاق أنْ أسأله عن الخلف، فقلتُ له: يا أبا عمرو إني أُريد أنْ أسألك عن شيءٍ وما أنا بشاكٍ فيما أُريد أنْ أسألك عنه ... أنتَ رأيتَ الخلف من بعد أبي محمَّد عليه السلام؟ فقال: إي والله ... إلى أنْ قال السفير أبو عمرو: إنَّ الأمر عند السلطان أنَّ أبا محمَّد مضى ولم يخلِّف ولداً، وقسِّم ميراثه، وأخذه من لا حقَّ له فيه، وهو ذا عياله يجولون ليس أحدٌ يجسر أنْ يتعرَّف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتَّقوا الله وأمسكوا عن ذلك[1].

---

[1]ـ أصول الكافي ج١ ص٣٩٠، دار الأضواء.

٣ـ وما رواه شيخنا الصدوق طيَّب الله ثراه بسنده عن محمَّد بن عثمان العَمري رضي الله عنه أنه قال: والله إنَّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلَّ سنةٍ، فيرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه[1].

إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في هذا المعنى، كما لا يخفى على المطالع.

سؤال وجواب:

إنْ قال قائلٌ: هناك بعض الأخبار التي يظهر منها خفاء البدن المبارك، فما هو التوجيه لها؟

١ـ كمال الدين ج٢ص٤٠٤، مؤسَّسة الأعلمي.

١ـ فقد روى شيخنا الكليني رحمه الله بسنده عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للقائم غيبتان، يشهد في إحداهما المواسم، يرى الناس ولا يرونه[1].

٢ـ وروى شيخنا الصدوق رحمه الله بسنده عن الريان بن الصلت قال: سمعته يقول: سُئل أبو الحسن الرضا عليه السلام عن القائم عليه السلام فقال: لا يُرى جسمه ولا يُسمَّى باسمه[2].

والجواب: إنَّ هذه الأخبار المباركة تُحمل على عدم المعرفة به، وليس على عدم إمكان الرؤية أصلاً، جمعاً بينها وبين ما

١ـ أصول الكافي ج١ ص٤٠٠، دار الأضواء.

٢ـ كمال الدين ج٢ص٣٤٥، مؤسَّسة الأعلمي.

تقدَّم من الأخبار الدالَّة على وجوده المبارك، وأنَّ المخفيَّ عنا هو عنوانه وهويته فقط.

والمتحصَّل مما تقدَّم، هو أنَّ لمولانا الصاحب عليه السلام غيبتين، إحـداهما قصيرة، وهي ما يُصطلح عليها بالغيبة الصُّغرى. والأُخرى طويلة، وهي ما يُصطلح عليها بالغيبة الكُبرى.

واتَّضح أيضاً بأنَّ غيابه فيها ليس غياب البدن المبارك، بل هو غيابٌ للهوية والعنوان.

وعلى هذا، يتفرَّع السؤال الذي عُقد هذا البحث من أجله: ما هو وجه الحاجة إلى الإمام الغائب؟

هذا ما سوف نُجيب عليه في « الفصل الثالث » من بحثنا هذا، والله الموفِّق والملهم للصواب.

الفصل الثالث

وجه الانتفاع بالإمام عليه السلام

من جملة الأسئلة التي تُثار في الشأن المهدوي هو التساؤل عن وجهِ الفائدة من وجود الإمام عليه السلام في حال غيبته واستتاره عن الناس؟

والجواب على هذا السؤال تارةً يكون بالإجمال، وأُخرى يكون بالتفصيل.

الجواب الإجمالي:

بعد الإيمان بغيبة الإمام عليه السلام وأنها من الله تعالى، فلابدَّ وأنْ تكون خاضعة لحكمةٍ من الحِكم وإنْ كنَّا نجهل تلك الحِكمة، وعليه تكون الفائدة من وجوده عليه السلام معلومةً ولو بنحو الإجمال.

ولعلَّ ما ورد في جملةٍ من الأخبار الشريفة ـ من أنَّ الانتفاع به عليه السلام كالانتفاع بالشمس إذا جلَّلها السحاب ـ ناظرٌ إلى ذلك.

١ـ روى شيخنا الصدوق نوَّر الله مرقده بسنده المتَّصل عن سُليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمَّد، عن أبيه محمَّد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام قال: نحن أئمَّة المسلمين، وحُجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين ... إلى أنْ قال سُليمان: فقلتُ للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجَّة الغائب المستور؟قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب[1].

١ـ كمال الدين ج١ ص١٩٩، مؤسَّسة الأعلمي.

٢ـ وروى أيضاً بسنده عن إسحاق بن يعقوب قال:سألتُ محمَّد بن عثمان العمري رضي الله عنه أنْ يُوصل لي كتاباً قد سألتُ فيه عن مسائل أشكلت عليَّ، فورد[ت في] التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام، وفيها قوله عليه السلام: وأمَّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيَّبتها عن الأبصار السحاب[1].

٣ـ وروى أيضاً طاب ثراه بسنده عن جابر الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وفيه: قال جابر: فقلتُ له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال صلَّى الله عليه وآله: إي والذي بعثني بالنبوَّة إنهم يستضيئون بنوره

١ـ كمال الدين ج٢ ص٤٣٩، مؤسَّسة الأعلمي.

وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإنْ جلَّلها السحاب، يا جابر هذا مكنون سرِّ الله، ومخزون علمه، فاكتمه إلَّا عن أهله[1].

وجه الشبه:

قال العلَّامة المجلسي طاب ثراه: بيان: التشبيه بالشمس المجلَّلة بالسحاب يومئ إلى أُمور:

الأوَّل: أنَّ نور الوجود والعلم والهداية، يصل إلى الخلق بتوسطِهِ عليه السلام، إذ ثبت بالأخبار المستفيضة أنَّهم العِلل الغائية لإيجاد الخلق، فلولاهم لم يصلْ نور الوجود إلى غيرهم، وببركتهم والاستشفاع بهم، والتوسُّل إليهم يظهر

1ـ كمال الدين ج1 ص241، مؤسَّسة الأعلمي.

العلوم والمعارف على الخلق، ويكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحقَّ الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[1]، ولقد جرَّبنا مراراً لا نحصيها أنَّ عند انغلاق الأمور وإعضال المسائل، والبعد عن جناب الحقِّ تعالى، وانسداد أبواب الفيض، لـمَّا استشفعنا بهم، وتوسَّلنا بأنوارهم، فبقدر ما يحصل الارتباط المعنوي بهم في ذلك الوقت، تنكشفُ تلك الأمور الصعبة، وهذا مُعاين لمن أكحل الله عين قلبه بنور الإيمان، وقد مضى توضيح ذلك في كتاب الإمامة[2].

---

[1] ـ القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

[2] ـ يعني رحمه الله: كتاب الإمامة من البحار.

الثاني: كما أنَّ الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها، ينتظرون في كلِّ آنٍ انكشاف السحاب عنها وظهورها، ليكون انتفاعهم بها أكثر، فكذلك في أيام غيبتهِ عليه السلام، ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره، في كلِّ وقتٍ و زمان، ولا ييأسون منه.

الثالث: أنَّ منكر وجودهِ عليه السلام مع وفور ظهور آثاره كمنكر وجود الشمس إذا غيَّبها السحاب عن الأبصار.

الرابع: أنَّ الشمس قد تكون غيبتها في السحاب أصلح للعباد من ظهورها لهم بغير حجاب، فكذلك غيبته عليه السلام أصلح لهم في تلك الأزمان، فلذا غاب عنهم.

الخامس: أنَّ الناظر إلى الشمس لا يُمكنه النظر إليها بارزة عن السحاب، وربما عُمِي بالنظر إليها، لضعف الباصرة عن الإحاطة بها، فكذلك شمس ذاته المقدَّسة، ربما يكون ظهوره أضرَّ لبصائرهم، ويكون سبباً لعماهم عن الحق. وتحتَمِلُ بصائرهم الإيمان به في غيبته، كما ينظر الإنسان إلى الشمس من تحت السحاب ولا يتضرر بذلك[1].

السادس: أنَّ الشمس قد يخرج من السحاب وينظر إليه واحد دون واحد، فكذلك يُمكن أنْ يظهر عليه السلام في أيام غيبته لبعض الخلق دون بعض.

1ـ يُشير رحمه الله إلى الفرق في التحمُّل بين زمن الحضور والغيبة للإمام الحجَّة عليه السلام.

السابع: أنهم عليهم السلام كالشمس في عموم النفع، وإنما لا ينتفع بهم من كان أعمى، كما فسِّر به في الأخبار قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1].

الثامن: أنَّ الشمس كما أنَّ شعاعها تدخل البيوت، بقدر ما فيها من الروازن والشبابيك، وبقدر ما يرتفع عنها من الموانع، فكذلك الخلق إنما ينتفعون بأنوار هدايتهم بقدر ما يرفعون الموانع عن حواسِّهم ومشاعرهم التي هي روازن قلوبهم، من الشهوات النفسانية، والعلائق الجسمانية، وبقدر ما يدفعون عن قلوبهم من الغواشي الكثيفة الهيولانية إلى أنْ

---

[1]ـ القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

ينتهي الأمر إلى حيث يكون بمنزلة من هو تحت السماء يحيط به شعاع الشمس من جميع جوانبه بغير حجاب.

فقد فتحتُ لك من هذه الجنة الروحانية ثمانية أبواب، ولقد فتح الله عليَّ بفضله ثمانية أُخرى تضيق العبارة عن ذكرها، عسى الله أنْ يفتح علينا وعليك في معرفتهم ألف بابٍ، يُفتح من كلِّ بابٍ ألف باب[1].

الجواب التفصيلي:

وأمَّا الجواب التفصيلي عن هذا السؤال فيقع في عدَّة وجوه إنْ شاء الله تعالى.

1ـ بحار الأنوار ج٥٢ ص٩٢، مؤسَّسة الوفاء.

الوجه الأوَّل: إنَّ الفائدة من وجود الإمام الغائب عليه السلام هي أنَّ وجوده المبارك سببٌ في بقاء الأرض، إذ ورد في الأخبار الكثيرة أنَّ الحجَّة لو رفع من الأرض لساخت وماجت بأهلها، منها:

١ـ ما رواه شيخنا الأقدم الصدوق طيَّب الله ثراه بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلتُ له: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت[1].

والمراد من قوله: ساخت، هو الهلاك والفناء للخلق.

---

[1] ـ كمال الدين ج١ ص١٩٤، مؤسَّسة الأعلمي.

٢ـ وما رواه أيضاً بسنده عن أبي هراسة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أنَّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله[1].

٣ـ وما رواه أيضاً بسنده عن أحمد الحلَّال قال: قلتُ لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنا روينا عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إنَّ الأرض لا تبقى بغير إمام، أو تبقى ولا إمام فيها ؟ فقال: معاذ الله، لا تبقى ساعة إذاً لساخت[2].

والمتحصَّل من هذا الوجه هو أنَّ وجوده المبارك ـ وإنْ كان غائباً ـ سببٌ في بقاء الأرض.

١ـ كمال الدين ج١ ص١٩٤، مؤسَّسة الأعلمي.

٢ـ كمال الدين ج١ ص١٩٥، مؤسَّسة الأعلمي.

الوجه الثاني: إنَّ الفائدة من وجود الإمام عليه السلام هي أنَّه الحجَّة والشاهد على أعمال الخلق، وكفى بذلك حافزاً على الاستقامة في الدين والابتعاد عن المعاصي.

فقد ورد في الأخبار: أنهم عليهم السلام الحجج والشهود على الخلق، منها:

١ـ ما رواه شيخنا الكليني طيَّب الله ثراه بسنده المتَّصل عن سُماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول[1]: مالكم تسوؤن رسول الله صلَّى الله عليه وآله؟! فقال رجلٌ: كيف نسوؤه؟! فقال: أما تعلمون أنَّ أعمالكم تُعرض

[1]ـ أي: الإمام الصادق صلوات الله عليه.

عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤا رسول الله وسرُّوه[1].

٢ـ وما رواه طاب ثراه أيضاً بسنده عن يعقوب بن شعيب قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2] قال: هم الأئمَّة[3].

٣ـ وما رواه طاب ثراه أيضاً بسنده عن عبد الله بن أبان الزيَّات ـ وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام ـ قال: قلتُ للرضا عليه السلام: ادعُ الله لي ولأهل بيتي. فقال: أولستُ

---

[1] ـ أصول الكافي ج١ ص٢٧٧، دار الأضواء.

[2] ـ القرآن الكريم ، سورة التوبة ، الآية : ١٠٥ .

[3] ـ أصول الكافي ج١ ص٢٧٧، دار الأضواء.

أفعل؟ والله إنَّ أعمالكم لتعرض عليَّ في كلِّ يوم وليلة. قال: فاستعظمتُ ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

والمتحصَّل من هذا الوجه، هو أنَّ أعمالنا تُعرض على جنابه المبارك، مما يجعل ذلك سبباً في الكفِّ عن الذنوب، كما ويكون سبباً لفعل الطاعات، وكفى بهذا منفعة وفائدة.

إنْ قلت: إنَّ الارتداع عن الذنوب والميل إلى فعل الطاعات كما يتحقق بوجود الإمام المهدي عليه السلام، كذلك يتحقق بوجود النبي الأعظم صلَّى الله عليه وآله،

1ـ أصول الكافي ج1 ص277، دار الأضواء.

وكذلك سائر الأئمَّة صلوات الله عليهم، ولذلك فلا وجه لتخصيصه عجَّل الله فرجه في ذلك؟

قلتُ: نعم، ولكنَّ ميل النفوس إلى المحسوسات أكثر من غيرها، ولذلك فالعلم والشعور بأنَّ الإمام الموجود معنا يرانا ويشهد أعمالنا ـ الصالحة أو الطالحة ـ يكون أكثر تأثيراً، كما لا يخفى.

الوجه الثالث: إنَّ الفائدة من وجوده عليه السلام هي أنَّ وجوده المبارك سببٌ لنزول البركات على الخلق، كما ورد في جملة من الأخبار، منها:

١ـ ما رواه شيخنا الأقدم الصدوق طيَّب الله ثراه بسنده عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا عليه السلام: نحن

حُجج الله في خلقه، وخلفاؤه في عباده ... وبنا ينزل الغيث ويُنشر الرحمة[1].

٢ـ وما رواه أيضاً بسند متَّصل عن خيثمة الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن جنب الله، ونحن صفوته، ونحن حوزته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أُمناء الله عزَّ وجلَّ، ونحن حُجج الله، ونحن أركان الإيمان، ونحن دائم الإسلام ... إلى قوله عليه السلام: ونحن الذين بنا ينزِّل الله عزَّ وجلَّ الرحمة، وبنا يُسقون الغيث[2].

١ـ كمال الدين ج١ ص١٩٥، مؤسَّسة الأعلمي.

٢ـ كمال الدين ج١ ص١٩٨، مؤسَّسة الأعلمي.

٣ـ وما رواه أيضاً بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: وفيه قوله: الأئمَّة من ولدك، بهم تُسقى أُمتي الغيث، وبهم يُستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم تنزل الرحمة من السماء[1].

٤ـ وما رواه طاب ثراه أيضاً بسنده عن سُليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمَّد، عن أبيه محمَّد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام قال: نحن أئمَّة المسلمين وحُجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجَّلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض كما أنَّ

---

[1]ـ كمال الدين ج١ ص١٩٨، مؤسَّسة الأعلمي.

النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يُمسك الله السماء أنْ تقع على الأرض إلَّا بإذنه، وبنا يُمسك الأرض أنْ تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض[1].

والمتحصَّل من هذا الوجه هو أنَّ وجوده المبارك سببٌ في نزول البركات حتَّى وإنْ كان غائباً عنا.

الوجه الرابع: إنَّ الفائدة من وجود الإمام الغائب عليه السلام هي بكونه هادياً ومسدِّداً للمؤمنين، كما جاء في بعض الأخبار والآثار، منها:

1ـ كمال الدين ج1 ص199، مؤسَّسة الأعلمي.

١ـ ما رواه شيخنا الأقدم الصدوق طيَّب الله ثراه بسنده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يدع الأرض بغير عالم[١]، ولولا ذلك لما عُرف الحق من الباطل[٢].

٢ـ وما رواه أيضاً بسنده عن عبد الأعلى بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ما ترك الله الأرض بغير عالم، يُنقص ما زادوا. ويزيد ما نقصوا، ولولا ذلك لاختلطت على الناس أمورهم[٣].

١ـ أي: معصوم.

٢ـ كمال الدين ج١ ص١٩٦، مؤسَّسة الأعلمي.

٣ـ كمال الدين ج١ ص١٩٧، مؤسَّسة الأعلمي.

٣ـ ما رواه شيخنا الطبرسي طاب ثراه في توقيع الصاحب للشيخ المفيد طاب ثراه، وفيه: فإنا نُحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم ... إلى قوله عجَّل الله فرجه: إنا غير مُهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك، لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء[1].

قال السيد بحر العلوم طاب ثراه: حُكي عن الشيخ يحيى بن بطريق الحلِّي صاحب كتاب العمدة وغيره: أنه ذكر في رسالة نهج العلوم لتزكية الشيخ المفيد رضي الله عنه طريقين، أحدهما: ما يشترك بينه وبين غيره من أصحابنا الثقات. وثانيهما: ما يختصُّ به، وهو ما ترويه كافة الشيعة وتتلقَّاه

١ـ الاحتجاج ج٢ ص٢٧١، الشريف الرضي.

بالقبول: أنَّ مولانا صاحب الأمر صلوات الله عليه وعلى آبائه كتب إليه ثلاثة كتب.

ثمَّ قال طاب ثراه: وقد يشكل أمر هذا التوقيع بوقوعه في الغيبة الكبرى، مع جهالة حال المبلِّغ، ودعواه المشاهدة المنفية بعد الغيبة الكبرى.

ويُمكن دفعه باحتمال حصول العلم بمقتضى القرائن، واشتمال التوقيع على الملاحم والأخبار عن الغيب الذي لا يطَّلع عليه إلَّا الله وأولياؤه، بإظهاره لهم. وأنَّ المشاهدة المنفية، أنْ يُشاهد الإمام ويعلم أنه الحجَّة عليه السلام حال مشاهدته له[1].

---

[1]ـ الفوائد الرجالية ج٣ ص٣٢٠، مكتبة الصادق.

الوجه الخامس: الإرتباط الروحي.

لا يخفى أنَّ الإنسان بطبعه يتأثَّر بمن يَعتقدُ بأنه قدوةٌ وأسوة، ولأجله يرتبط به ارتباطاً روحياً، وبذلك يكون تأثير القدوة في حياة البشر أمراً ضرورياً لابدَّ منه.

ومن هذا المنطلق نشاهد أنَّ القرآن الكريم قد أكَّد على كون الأنبياء، والأولياء، هم القدوة والأسوة الحقيقيون للفرد المؤمن.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً﴾[1].

---

[1]ـ القرآن الكريم ، سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

وقال جلَّ جلاله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[1].

وعلى هذا يكون الإرتباط بالإمام الحجَّة عليه السلام من مصاديق ذلك، بل إنَّ الإرتباط به يكون أوضحُ من غيره، باعتبار أنه الإمام الحي الذي يعيش في عالمنا وزماننا، كما أشرنا إلى ذلك في ذيل الوجه الثاني.

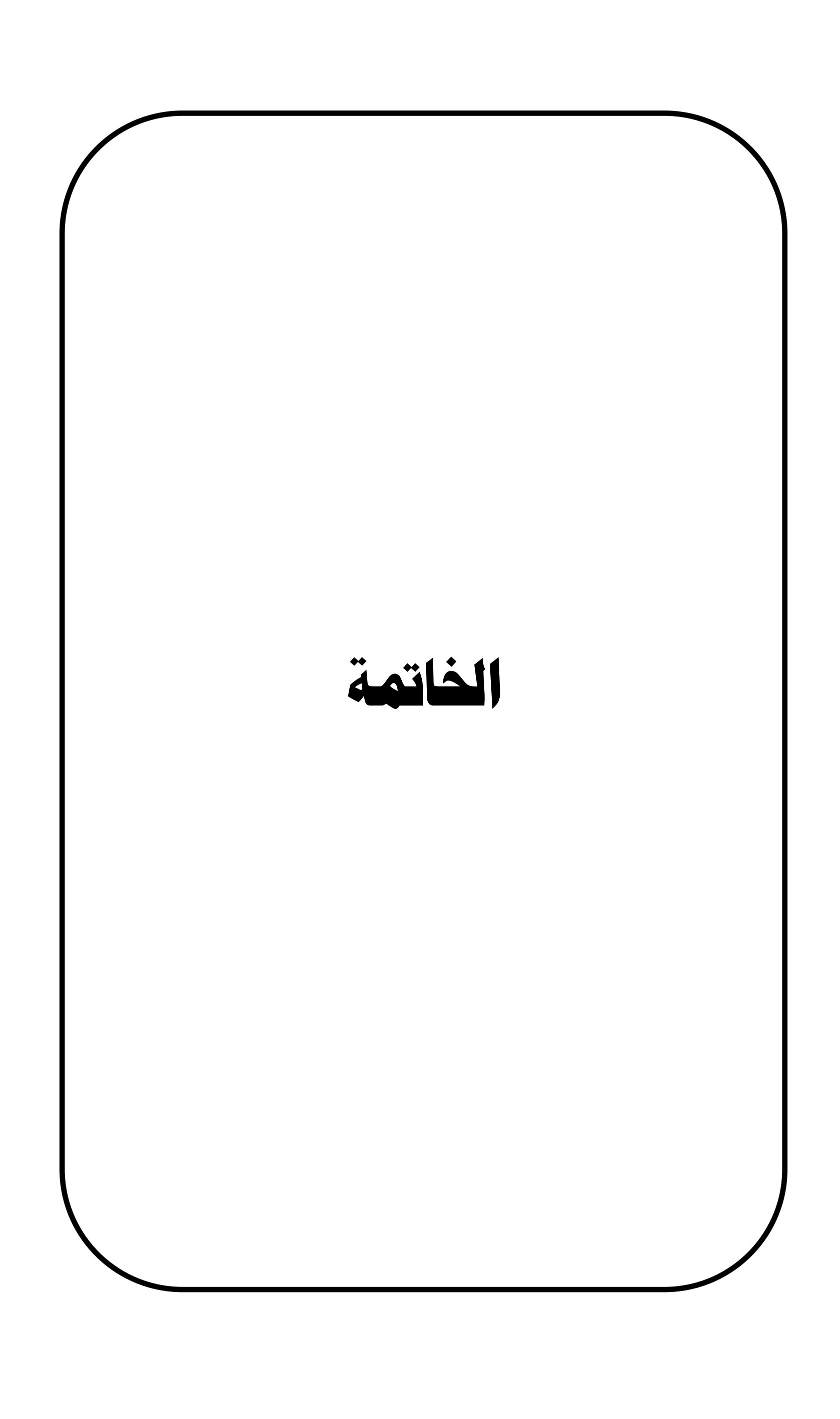
كما أنَّ الإرتباط به صلوات الله عليه يُشعر بالراحة، والطمأنينة، والإتصال بجهة السماء، وذلك خير عاصمٍ من

١ـ القرآن الكريم، سورة الممتحنة، الآية : ٤.

الإنجرار نحو الإلحاد، وقتل النفس، وأمثال ذلك من المهالك التي أكَّدتها الكثير من الدراسات.

ومن هنا يتَّضح وجهٌ من وجوه الفائدة من وجوده عجَّل الله فرجه، وإنْ كان غائباً عنا.

هذه جملةٌ من الوجوه الدالَّة على حصول الفائدة من وجود الصاحب عليه السلام في حال غيبته واستتاره، ولعلَّنا بالتأمُّل والتتبُّع نعثر على غيرها.



الخاتمة

وقفات مع دُعاء الفرج:

لا يخفى أنَّ عنوان « دُعاء الفرج » يُطلق على جملة من الأدعية المباركة، إلَّا أنَّ المقصود منه في هذا المقام هو الدعاء المعروف بدعاء: « اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن...». ولأجل اتضاح الحال فيه وهل هو معتبرٌ أو لا، نقفُ عنده بعض الوقفات إنْ شاء الله تعالى.

الوقفة الأولى: هل رُوي الدعاء عن المعصوم؟

لقد رُوي دعاء الفرج في كتاب الكافي للشيخ الكليني، والتهذيب للشيخ الطوسي رحمة الله عليهما، عن محمَّد بن عيسى، بإسناده عن الصالحين عليهم السلام، وهذا التعبير، أعني: « عن الصالحين عليهم السلام » يدلُّ بوضوح على أنَّ

الدعاء المبارك قد رُوي عن أحد الأئمَّة عليهم السلام من دون تحديد.

نعم، يُحتمل أنه مروي عن خصوص بعض الأئمَّة الذين عاصرهم الراوي محمَّد بن عيسى، كما ويُحتمل أنه مروي عن أكثر من معصوم، وذلك بملاحظة قوله: « الصالحين » الدال على الجمع.

وسواء صحَّ هذان الاحتمالان أولا فهما غير مؤثِّرين بعد ثبوت حُجية كلامهم بأجمعهم صلوات الله عليهم، وعليه فالدعاء المبارك مرويٌّ عن أحد الأئمَّة صلوات الله عليهم، ولذلك لا إشكال فيه من هذه الناحية.

الوقفة الثانية: صحَّة الدعاء من ناحية السند.

من الواضح لمن لاحظ كتابي الكافي والتهذيب فقدان سلسلة من رواة السند، وهي المعبَّر عنها بقولهم: « بإسناده »، وبما أننا نجهل هذه السلسلة من الرواة فيكون الدعاء مرسلاً من الناحية الرجالية.

نعم، كون الدعاء مرسلاً لا يعني أنه موضوع على الأئمَّة عليهم السلام، بل معنى ذلك، أنَّ السلسلة بين الراوي والإمام غير معروفة، ولذلك فلو حصلنا على شيءٍ يَصلح أنْ يكون بديلاً عن السند لكان هو المتَّبع.

وقد تسأل عن البديل ما هو؟ فنقول: إنَّ البديل عن السند هو الفحص عن القرائن الأُخرى التي يُستفاد منها الحكم

باعتبار الدعاء ومقبوليته، وهو ما سوف نُشير إليه في الوقفة الثالثة إنْ شاء الله تعالى.

الوقفة الثالثة: صحَّة الدعاء من ناحية القرائن.

من المعروف في علم الحديث أنَّ هناك مبنيان أساسيان في التعامل مع التراث، الأوَّل: هو ما يسمَّى بمبنى « الوثاقة ». والآخر: هو ما يسمَّى بمبنى« الوثوق »، ولتفصيل الحال فيهما أكثر نذكر بعض الأمثلة على ذلك.

مثال الوثاقة: هو أنْ يُروى الدعاء مثلاً بسندٍ كل رجاله موثَّقين، إمَّا مع شرط الإيمان ويسمَّى حينئذٍ بالصحيح أو من دون شرط الإيمان ويسمَّى حينئذٍ بالموثَّق. أو يكون السند ممن

نُصَّ على مدح رجاله فقط دون التصريح في الوثاقة، وهو ما يسمَّى بالحَسن.

وأمَّا مثال الوثوق: فهو أنْ يحصل من الدعاء مثلاً الوثوق والاطمئنان، وذلك لاشتماله على جملة من القرائن الداخلية أو الخارجية الدالَّة على اعتباره وحُجيته، كأنْ يكون مضمونه صحيحاً أو متوافقاً مع العقل البديهي أو موافقاً للمسلَّمات أو غير ذلك من أُمور توجب ـ في العادة ـ الاطمئنان والوثوق بالصدور.

وهذا المنهج الثاني « الوثوق » هو المنهج المتَّبع عند مشهور الإمامية أعلى الله شأنهم، كما أفصحت عنه جملة من كلمات الأعلام والأساطين.

ثمَّ إنَّ هناك جملة من القرائن المعتبرة الدالَّة على اعتبار الدعاء ومقبوليته، نذكر بعضاً منها:

القرينة الأولى: تقدَّم سابقاً أنَّ هذا الدعاء قد رُوي في كتاب الكافي للشيخ الكليني طاب ثراه، وهو من أهمِّ الكتب والمصادر الأوَّلية عندنا، بل هو من الكتب التي شَهِد بصحَّةِ أخبارها جملة من أعلامنا ومحققينا.

قال المحدِّث العاملي طاب ثراه بعد قول الكليني« بالآثار الصحيحة » المذكور في مقدِّمة الكافي ما نصُّه: فعُلم أنَّ كلَّ ما فيه صحيح باصطلاح القدماء، بمعنى: الثابت عن المعصوم بالقرائن القطعية أو التواتر[1].

١ـ وسائل الشيعة ج٣٠ ص١٩٧، آل البيت.

وقال السيد الخوئي طاب ثراه: سمعتُ شيخنا الأستاذ الشيخ محمَّد حسين النائيني قدِّس سرُّه في مجلس بحثه يقول: إنَّ المناقشة في إسناد روايات الكافي حرفة العاجز[1]. مما يدلُّ على اعتبار مروياته في نظره قدِّس سرُّه، والتي منها هذا الدعاء المبارك.

القرينة الثانية: لاشكَّ في أنَّ مضمون الدعاء هذا من المضامين المنسجمة مع خط الطائفة العام، ولذلك فهو من الأدعية المقبولة والمعتبرة.

بيان ذلك: إنَّ الدعاء لعامة المؤمنين أمرٌ راجح ومطلوب، فكيف لو كان لسيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان عجَّل

١ـ رسالة في كليات علم الرجال ص٦٩، مؤسَّسة الخوئي الإسلامية.

الله تعالى فرجه وسهَّل مخرجه، إنه بلا شك يكون من الأمور المطلوبة، بل والضرورية.

قال السيد ابن طاووس رحمه الله تعالى بعد ذكره الدعاء للمؤمنين: إذا كان هذا كلُّه فضل الدعاء لإخوانك، فكيف فضل الدعاء لسلطانك الذي كان سبب إمكانك! وأنت تعتقد أنْ لولاه ما خلق الله نفسك ولا أحداً من المكلَّفين في زمانه وزمانِك، وأنَّ اللطفَ بوجوده صلوات الله عليه سببٌ لكلِّ ما أنت وغيرك فيه، وسببٌ لكلِّ خير تبلغون إليه، فإياك ثمَّ إياك أنْ تقدِّم نفسك أو أحداً من الخلائق في الولاء، والدعاء له ما بلغ الإمكان[1].

1ـ فلاح السائل ص ١١٢، مكتب الإعلام الإسلامي.

الوقفة الرابعة: التسامح في أدلَّة المستحبات.

لقد جرت سيرة الأعلام على نقل الأخبار الضعيفة التي لا ترتبط بالأحكام الشرعية الإلزامية، كما في أبواب المستحبَّات كالأدعية وغيرها، وقد صرَّح بهذه الحقيقة بعض الأعلام منا ومن المخالفين.

قال الشيخ البهائي رحمه الله: قد شاع العمل بالضعاف في السنن وإنْ اشتهر ضعفها[1].

وقال السيد السبزواري رحمه الله تعالى في مبحث الأصول العملية: قد جرت سيرة العلماء على التسامح في المندوبات التوصلية، وفي أدلَّة المكروهات، والفضائل، والمعاجز،

1ـ الوجيزة (ضمن رسائل دراية الحديث) ج1 ص541، دار الحديث.

والأخلاقيات، وما ورد لدفع الأوجاع والأمراض، وما ورد لقضاء الحوائج، من الصلوات والدعوات[1].

إذن: حتَّى لو سلَّمنا وتنازلنا عن كلِّ ما تقدَّم، فالدعاء مشمول لقاعدة التسامح في أدلَّة السنن، ومعه يُمكن لنا التعويل عليه والأخذ به.

نتيجة البحث:

والنتيجة النهائية التي ننتهي إليها من كلِّ ذلك: هي أنَّ دعاء الفرج المبارك من الأدعية المعتبرة والمقبولة وفق الأسس والقواعد العلمية.

---

[1] ـ تهذيب الأصول ج٢ ص١٧٢، الدار الإسلامية.

نسأل الله تعالى أنْ يُعجِّل في فرج مولانا صاحب العصر، وأنْ يجعلنا من أنصاره وأعوانه، ومن المستشهدين تحت لوائه، والحمد لله أوَّلاً وآخراً.

الشيخ نُهاد الفيَّاض

النجف الأشرف ١٤٤٣هج


المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١ـ الاحتجاج، تأليف الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.

٢ـ الإرشاد في معرفه حُجج الله على العباد، تأليف الشيخ المفيد.

٣ـ أصول الكافي، تأليف ثقة الإسلام الشيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.

٤ـ الأمالي، تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي.

٥ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، تأليف العلَّامة المجلسي.

٦ـ تهذيب الأصول، تأليف المرجع الفقيه السيد عبد الأعلى السبزواري.

٧ـ رسالة في كليات علم الرجال، تأليف المرجع السيد أبو القاسم الخوئي.

٨ـ عيون أخبار الرضا، تأليف المحدِّث الأقدم الشيخ محمَّد بن بابويه الصدوق.

٩ـ الغيبة، تأليف المحدِّث الشيخ ابن أبي زينب محمَّد بن إبراهيم النعماني.

١٠ـ الغيبة، تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي.

١١ـ فلاح السائل، تأليف السيد أبي القاسم علي بن موسى بن طاووس.

١٢ـ الفوائد الرجالية، تأليف السيد محمَّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي.

١٣ـ كشف الغمَّة، تأليف العلَّامة أبي الحسن علي بن عيسى الإربلي.

١٤ـ كفاية الأثر، تأليف المحدِّث الأقدم أبي القاسم علي بن محمَّد الخزَّاز القمِّي.

١٥ـ كمال الدين وتمام النعمة، تأليف المحدِّث الأقدم الشيخ محمَّد بن بابويه الصدوق.

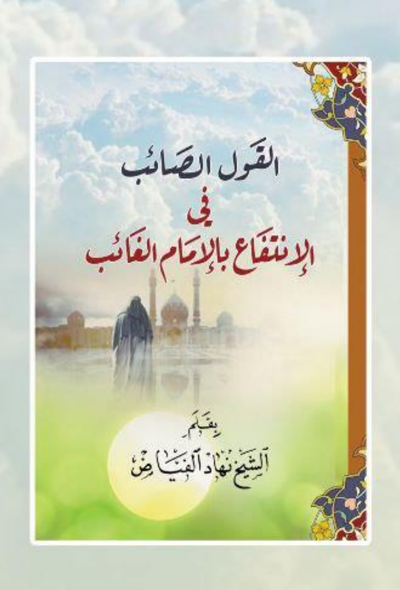
١٦ـ النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجَّة الغائب، تأليف الميرزا النوري.

١٧ـ الوجيزة في علم الدراية، تأليف الفقيه الشيخ بهاء الدين العاملي.

١٨ـ وسائل الشيعة، تأليف المحدِّث الشيخ محمَّد بن الحسن الحر العاملي.

المحتويات

والحمد لله رب العالمين



مكتبة الطيف
النجف الأشرف